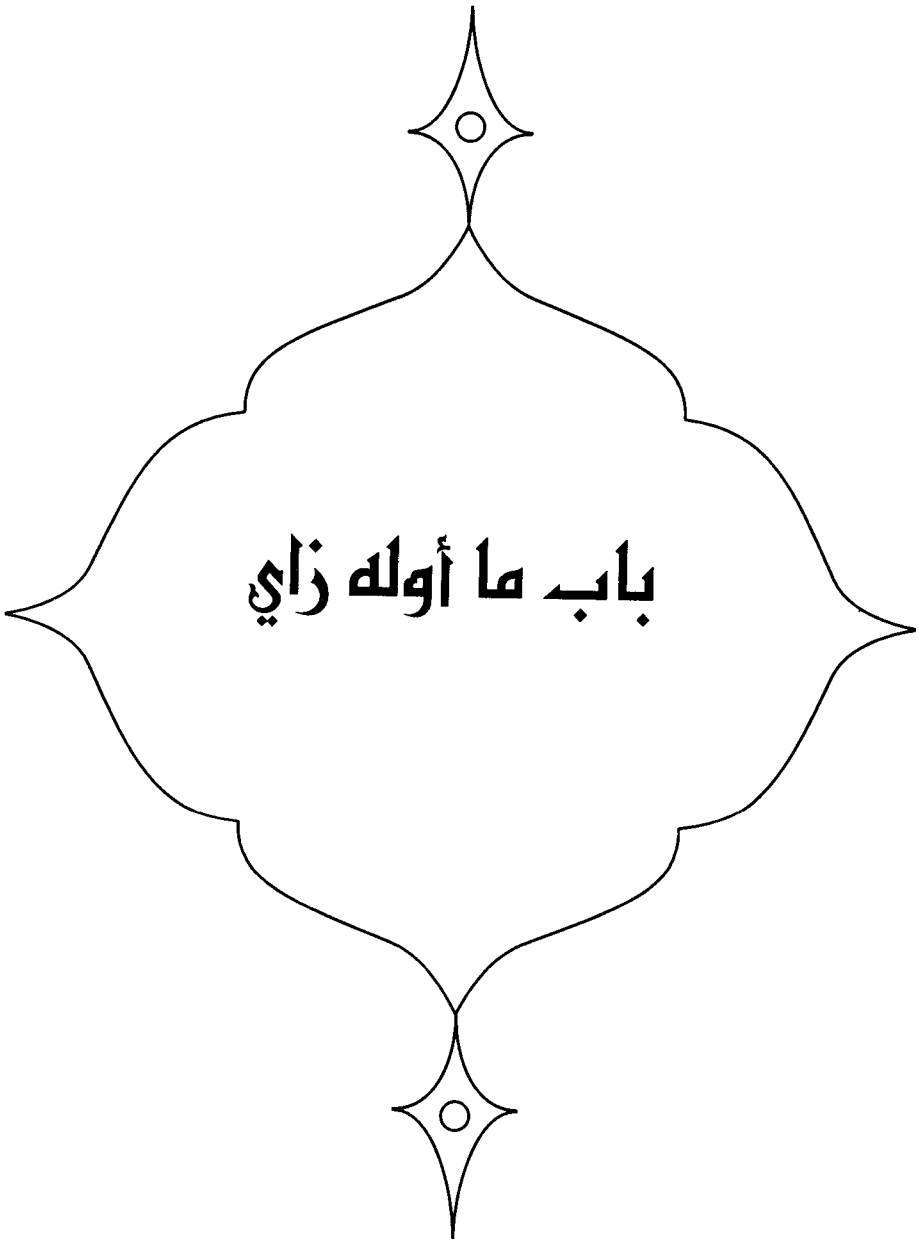
باب ما أوله زاي

١٥٤- زالَ زوالُكَ

هذا الأسلوبُ من الأساليبِ العربيةِ العريقةِ التي عُرِفَتْ في كلامِ الجاهليينَ والإسلاميين.

كانوا يقولون لمنْ يدعون عليه بالهلاك: (زالَ زوالُكَ) قال الأعشى الكبير[١]:

هذا النهارُ بَدَا لها منْ هَمِّها ... ما بالُها باللَّيْلِ؟ زال زَوَالُها

قيل: معناه زالَ الخيالُ زوالَها.

قال ابنُ الأعرابيِّ: إنّما كَرِهَ ذِكْرَ الخيالِ، لأنه يهيجُ شوقَه[٢].

لغاته:

لهذا الأسلوبِ أكثرُ من لُغَةٍ:

- يُقالُ للرَّجُلِ: زال زوالُك، وزالَ زوالُهُ.

- وقال يعقوب: يُقالُ: أزال اللهُ زوالَهُ، وزالَ اللَّهُ عنه زوالَهُ، يدعو عليه بالهلاك والبلاءِ. وبَيْتُ الأعشى مرويٌّ بنَصْبِ (زوالها)، وقد تكون على لُغَةِ (أزال اللهُ زوالَها)، ويقوّي ذلك رواية أبي عمرو إيّاه بالرَّفْعِ: (زال زوالُها) على أنَّ في البيت إقواءً، لأن اللاَّمَ (حَرْفَ الرَّوِيِّ) في قصيدةِ الأعشى منصوبةٌ في سائرِ أبياتِ القصيدةِ.

---

(١) ديوان الأعشى: ص٢٧.

(٢) اللسان: زول.

قال أبو عمرو: هذا مَثَلٌ لِلْعَرَبِ قديمٌ، تستعمله هكذا، بالرَّفْعِ، فسمعَهُ الأعشى، فجاءَ به على استعماله، والأمثال تؤدّى على ما فَرَطَ به أوّلُ أحوالِ وقوعها[1].

وغَيْرُ أبي عمرو رَوَى هذا المَثَلَ بالنَّصْبِ، بغَيْرِ إقواءٍ، على معنى زال عنّا طيفُها باللَّيلِ، كزوالِها هي بالنهارِ[2].

وقال أبو بكر: زال زوالَها، أي أزال اللهُ زوالَها، أيْ زَالَ خيالُها حينَ تزولُ، فَنَصَبَ زوالَها على الوَقْتِ، ومذهبِ المَحَلِّ، يُقالُ: ركوبي ركوبَ الأميرِ، والمصادرُ المؤقَّتَةُ تجري مَجْرَى الأوقاتِ.

ويقال: ألقى عبْدَ اللهِ خروجَه من مَنْزِلِه، أيْ حين خروجِهِ، وقال ذو الرُّمَّة يصفُ بَيْضَ النَّعَامَةِ:

وبيضاءَ لا تَنْحَاشُ منّا وأُمُّها ... إذا ما رأَتْنا زِيلَ منّا زَوِيلُها

أي: زِيلَ قلبُها مِنَ الفَزَعِ.

قال ابن برِّي[3]: يحتمل أنْ يكون (زيلَ) في البيت مبنياً للمفعولِ، من زالَهُ اللهُ. ويحتمل أنْ يكونَ (زِيلَ) لغةً في (زال)، كما يُقالُ: في (كادَ): (كِيد)، ويدلُّ على صِحَّةِ ذلك أنه يُرْوَى: زِيلَ منّا زوالُها، وزال منّا زويلُها. فهذا يدل على أنّ (زيل) بمعنى (زال) المبني للفاعل دون المبني للمفعولِ.

- وحُكي في لغةٍ أخرى: (زِيلَ زوالُه) ومعناه بَلَغَ مكنونَ نَفْسِه ويُقالُ للرجل إذا فَزِعَ من شيءٍ وحَذِرَ: (زِيلَ زَوِيلُهُ). قالَه الباهليُّ في شرح بيتِ ذي الرُّمَّةِ[4].

---

(١) اللسان: زول.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) شرح ديوان ذي الرمة للباهلي: ٢/٢٩٤.